برك سليمان: عبقرية مائية فلسطينية صمدت ألفي عام

في قلب التلال الفلسطينية جنوب مدينة بيت لحم، وعلى الطريق التاريخي الذي ربط القدس بالخليل لقرون، تقف برك سليمان شاهدة على عبقرية هندسية صمدت أكثر من ألفي عام. هذه البرك الثلاث الضخمة لم تكن مجرد خزانات للمياه، بل قلب نظام مائي متكامل نقل الحياة إلى القدس وبيت لحم عبر شبكة قنوات امتدت لعشرات الكيلومترات، معتمداً على الانحدار الطبيعي وحده دون أي مضخات. وبين الرواية الشعبية التي ربطتها بالنبي سليمان، والحقائق الأثرية التي تعود بها إلى عصور أقدم بكثير، تبقى برك سليمان رمزاً من رموز التراث المائي والحضاري في فلسطين، ومعلماً يواجه اليوم تهديدات تستهدف هويته وتاريخه.

الموقع

تقع برك سليمان جنوب غرب مدينة بيت لحم، قرب قرية أَرْطاس وبلدة الخضر، على الطريق التاريخي الواصل بين القدس والخليل، وتبعد نحو 3.5 كيلومتر عن بيت لحم. وقد اختير موقعها بعناية في منطقة تتجمّع فيها المياه طبيعياً بين الجبال، ما جعلها مركزاً مثالياً لتخزين المياه ونقلها.

التسمية بين الرواية الشعبية والتاريخ

رغم اشتهارها باسم "برك سليمان"، لا توجد أدلة أثرية تثبت أنّ النبي سليمان عليه السلام هو من أنشأها؛ وإنما ارتبط الاسم به في التراث الشعبي الفلسطيني. ويرى كثير من المؤرخين أنّ التسمية تعود إلى السلطان العثماني سليمان القانوني الذي رمّم البرك وأعاد تشغيلها في القرن السادس عشر. أما البناء الأصلي فيعود إلى عصور أقدم بكثير.

الوصف المعماري والهندسي

تتكوّن برك سليمان من ثلاث برك ضخمة متدرّجة، ترتفع كل واحدة عن الأخرى بنحو ستة أمتار، وتصبّ مياه العليا في الوسطى ثم السفلى عبر قنوات. تتراوح أطوالها بين 118 و179 متراً، وأعماقها بين 8 و23 متراً، وتبلغ سعتها الإجمالية أكثر من 250 ألف متر مكعب. وقد شُيّدت بأسلوب يجمع بين نحت الصخر والبناء بالحجارة، معتمدة في عملها على الانحدار الطبيعي دون الحاجة إلى أي مضخات.

النظام المائي والقنوات

لم تكن البرك مجرد خزانات، بل جزءاً من نظام مائي متكامل يُعدّ من أعظم الأنظمة المائية في التاريخ القديم. كانت تتغذى من الينابيع الطبيعية ومياه الأمطار وقنوات ممتدة من المناطق الجبلية، وترتبط بشبكة قنوات رئيسية يصل طولها إلى نحو 80 كيلومتراً، نقلت المياه إلى القدس وبيت لحم وقصر هيرودس (الهيروديوم). واعتمد النظام على حسابات دقيقة في الانحدار تعكس مستوى متقدماً من المعرفة الهندسية.

المعالم المحيطة

تحيط بالبرك معالم تاريخية وطبيعية بارزة، أهمها قلعة مراد التي تحوّلت اليوم إلى موقع تراثي، ووادي أَرْطاس

المعروف بخصوبته الزراعية والذي يُشار إليه في بعض الروايات باسم "حدائق سليمان"، وقد لعبت المنطقة دوراً مهماً في النشاط الزراعي والحضاري عبر العصور.

الوضع الحالي والتهديدات

بعد تراجع دورها إثر عام 1967 وتطوّر أنظمة المياه الحديثة، تعرّضت البرك لفترات من الإهمال والتدهور. وفي السنوات الأخيرة جرت محاولات لترميمها وإعادة الاعتبار لها كموقع تراثي وسياحي مفتوح للزوار. إلا أنّ الموقع يواجه اليوم تهديدات استيطانية متصاعدة ومحاولات لفرض سيطرة فعلية عليه، رغم وقوعه ضمن مناطق "أ" الخاضعة للسيادة الفلسطينية، في إطار مسار أوسع يستهدف المواقع الأثرية الفلسطينية ومحاولة توظيفها ضمن رواية تتناقض مع الحقائق التاريخية والأثرية.

الأهمية

تمثّل برك سليمان نموذجاً فريداً للعبقرية الهندسية القديمة، ونظاماً مائياً متكاملاً يعمل بالجاذبية الطبيعية. وقد شكّلت عنصراً أساسياً في استقرار التجمعات السكانية في القدس وبيت لحم لأكثر من ألفي عام، ما يجعلها شاهداً حيّاً على استمرارية الحضارة في فلسطين، ورمزاً من رموز التاريخ المائي والحضاري والتفاعل العميق بين الإنسان والبيئة عبر العصور.